



ISSN: 1994-4217 (Print) 2518-5586(online)

Journal of College of Education

Available online at: <https://eduj.uowasit.edu.iq>

Assis.lectu. Hussain
Salih Dahir

General Directorate of
Education in Karbala

Email:
Husseinsalih688@gmail.com

Keywords:

The people awareness ,
The definition , The
annexation , The
customization , The
people of the scripture
, The purpose of the
Holy Quran



Article info

Article history:

Received 20.JAN.2024

Accepted 17.MAR.2024

Published 20.May.2024



**The Significance of the definition of annexation in the Holy Quran in
the Almighty's saying
(فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون)
between the purpose of the Holy Quran and the comprehension of
the interpreters**

A B S T R A C T

The Holy Quran used and appointed the characteristics of the Arabic language, the methods of speech and the communicative speech to show the meaning and the purpose of the versus, furthermore the grammatical structure are used to explain and show the accuracy of the meaning, one of these structures which is mention in the Holy Quran is defining and non - defining.

This research shows the function and the purpose of the genitive which is shown by the expression “ask of those who posses the message” {“ahla althikr “} , it also shows its linguistic function and how it became a special semantic linguistic signal that leads to its linguistic and rhetorical purpose that indicates the position of the prophet “ peace upon him ” that God signaled out for him and how the interpreters explain that the expression “ask of those who posses the message” is not specific to the Messenger.

© 2022 EDUJ, College of Education for Human Science, Wasit University

DOI: <https://doi.org/10.31185/eduj.Vol55.Iss1.3836>

(دلالة التعريف بالإضافة في القرآن الكريم)
 قوله تعالى: { فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون }
 (بين المقصد القرآني وفهم المفسرين)
 - دراسة دلالية على وفق المعطيات اللغوية والقرآنية -

أ.م.د. حسين صالح ظاهر
 مديرة تربية كربلاء

الملخص

استعمل القرآن الكريم سمت العرب في كلامهم ومخاطباتهم التواصلية ، فقد وظف أساليبهم الكلامية لبيان معاني آياته ، ومقاصده الدقيقة ؛ فاستعمل المفردات العربية في أنساق نحوية لم تخرج عن قوانين العربية ، وكذلك وظّف الأبواب النحوية واستعمالاتها لأغراضه البيانية ؛ طلبا لدقة المعنى ، وإيضاح المقصد ومن هذه الأبواب باب (النكرة والمعرفة) ، وعليه سيكون بحثا في مسألة التعريف بـ (الإضافة) ، وماهي أغراض هذا التعريف ودواعي استعماله ، وعلى أساس ذلك سنبحث تركيب (أهل الذكر)، كونه يدخل في هذا الباب النحوي ، وسنبحث دواعي هذا التعريف بالإضافة ، وما هي وظيفته اللغوية ، وكيف صار إشارة لغوية دلالية خاصة تؤدي غرضها اللغوي والبلاغي في الدلالة على منزلة الرسول " صلى الله عليه وعلى آله وسلم " التي خصّه الله بها ، وكيف فهم بعض المفسرين أنّ (أهل الذكر) ليس خاصًا بالرسول . وسيكون البحث على محورين :

الأول: بحث تفسير الآية عند المفسرين ، وكيف فسروها بعيدا عن مقصدها ، وتوضيح المقصد القرآني الدقيق للغرض الذي أراده في هذا التعريف بالإضافة وهو الإشارة إلى الرسول " صلى الله عليه وعلى آله وسلم"، وكلّ ذلك على وفق المعطيات اللغوية، والقرآنية، وكذلك بحث بعض الآيات ذات العلاقة بموضوع البحث لاسيما الآيات المتعلقة في منزلة الرسول وعلمه " صلى الله عليه وعلى آله وسلم " .

الثاني: بحث دلالة لفظة (أهل) و (الذكر) المفردتين، وتحليل ألفاظ الآية لبيان سياقها، ثم تركيب (أهل الذكر) المعروف بالإضافة، ودلالة تعريفه عند أهل اللغة، ووظيفته النحوية والبلاغية التي يؤديها في النسق اللغوي القرآني المستعمل عند العرب، ومنه الآية موضع البحث، عبر بحث دواعي إضافة لفظة أهل إلى لفظة الذكر، وما هي المعاني التي أُضِيْفَتْ بهذا الاستعمال ، وما هي وظيفة التركيب الجديد، والدلالة الجديدة التي زادها هذا التركيب في ذهن المتلقي .

الكلمات المفتاحية : أهل الذكر ، التعريف بالإضافة ، التخصص ، أهل الكتاب ، المقصد القرآني

المدخل

نالت مسألة المتخاطبين في السياقات العامة ، والخاصة في المواقف التواصلية عند مستعملي اللغة العربية عناية الباحثين القدامى والمحدثين ؛ لأنّها تمثّل الخطوة الأولى في الوصول إلى المعنى الواضح ، والمقصد الدقيق لعملية الخطاب ووظيفته ، وبذلك على مدى عنايتهم الأبواب التي أفردوها وبحثوا فيها عملية التعاون بين المتخاطبين (المتكلم والمتلقي) ، وبحثوا ذلك في عنوانات واضحة في مؤلفاتهم من مثل قولهم : ((هذا باب المخاطبة : فأول كلامك لما تسأل عنه، وآخره لمن تسأله، وذلك إذا سألت رجلا عن رجل: كيف ذلك الرجل؟ فتحت الكاف ؛ لأنّها للذي تكلم)) (المقتضب،

٣، ١٩٩٤/٢٧٥) ، وقولهم : ((باب الخطاب الذي يقع به الافهام من القائل والفهم من السامع ، يقع ذلك بين المتخاطبين من وجهين : أحدهما : الاعراب ، والآخر: التصريف هذا فيمن يعرف الوجهين ، فأما من لا يعرفهما فقد يمكن القائل افهام السامع بوجوه يطول ذكرها من اشارة وغير ذلك)) (الصاحبي ، ٣٠٩) ، وقولهم : ((باب المخاطبة : اجعل أول كلامك لمن تسأل عنه وأخره لمن تخاطبه)) (الجمل ، ١٩٢٦ ، ٢٦٥) ومن مثل قولهم : ((باب الخطاب : إذا خاطبت انساناً فاجعل أول الكلمة للمذكور الغائب وأخرها للحاضر المخاطب)) (شرح اللمع ، ١٩٩٠ ، ٨١١) ، فمثل هذه النصوص تبين مدى عناية أهل اللغة بمسألة وظيفة اللغة التواصلية ، ومقاصد تراكيبها التي يراعيها المتكلم في ايصال المقصد الدقيق .

وقد اعتنى أهل اللغة والنحويون بمفردات اللغة العربية ، وتراكيبها اللغوية ، فبينوا أساليب الكلام التي اتبعها العرب في لغتهم اليومية ؛ وكان ذلك نابغ من العناية بدراسة آيات القرآن الكريم وفهم معانيه ، وبيان مقاصده ، فاستتبط النحويون قوانين اللغة وأحكامها النحوية من كلام العرب أصحاب السليقة ، وكذلك وضّحوا الأبواب النحوية التي اتفق عليها أهل الاختصاص ، من مثل باب الفعل ، وباب الاسم ، وباب الحروف والأدوات ، وغير ذلك من أبواب النحو التي بحثوها في مؤلفاتهم، وكلّ ذلك لبيان وتوضيح الأساليب التواصلية التي كانت العرب تتبعها في كلامها ؛ ويعدّ باب المعرفة والنكرة ، أو باب التعريف والتكثير، الذي بحثه النحويون تحت باب الأسماء من أهم المسائل ؛ لأنه من أركان العملية التواصلية بين المتخاطبين ، ومسألة الاسم النكرة والاسم المعرفة تتعلق بمبدأ التعاون بين المتكلم والمتلقي ؛ لأنه يمثل الأساس في عملية الفهم والافهام وإظهار المقصد الدقيق، إذ يلجأ المتكلم إلى استعمال الاسم المعرف؛ ليؤدّي وظيفة تواصلية لها دلالتها الخاصة عند المتلقي في أي نسق لغوي يستعمله لإيصال مقصده ، وإيضاح معناه ؛ لذلك عرّفه النحويون بتعريفات متعددة ، وذكروا أنواع المعرفة من مثل قولهم: ((فالمعرفة خمسة أشياء : الأسماء التي هي أعلام خاصة ، والمضاف إلى المعرفة ، والألف واللام ، والأسماء المبهمة ، والاضمار)) (الكتاب ، ١٩٩١ ، ٥ / ٢) وقولهم: ((فمن المعرفة: الاسم الخاص نحو : زيد ، وعمرو ... فإن عرف السامع رجلين ، أو رجالات كلّ واحد منهم يقال له زيد ، فصلت بين بعضهم وبعض بالنعته فقلت : الطويل ، والقصير ، لتمييز واحدا ممن تعرفه ، أنه المقصود منهم . فإن كان هناك طويلان أبنت أحدهما من صاحبه بما لا يشاركه صاحبه فيه ، وهذا نوع من التعريف)) (المقتضب ، ١٩٩٤ ، ٤ / ٢٧٦) ، وقولهم: ((المعرفة ما دلّ على شيء بعينه ، وهو على خمسة أضرب : العلم الخاص ، والمضمر ، والمبهم وهو شيئان : أسماء الاشارة والموصولات ، والداخل عليه حرف التعريف ، والمضاف إلى أحد هؤلاء اضافة حقيقية)) (المفصل في علم العربية ، ٢٠٠٣ ، ١٨٦ . ١٨٧) وقيل : ((المعرفة في الأصل مصدر كـ "العرفان " ؛ ولذلك تقول رجل ذو معرفة ثم نُقل فجُعل وصفا للاسم الدال على الشيء المخصوص ؛ لأنه يُعرّف به وهو يدلّ عليه)) (اللباب في علل البناء والاعراب ، ٢٠٠٩ ، ٣٠٦) وقولهم: ((المعارف في الترتيب: المضمر ثم العلم ، ثمّ المبهم، ثمّ المعرف بالألف واللام ثمّ إذا أُضيف إلى شيء فهو بمنزلة)) (التوطئة ، ١٩٨١ ، ١٨٨ - ١٨٩) ، وأشاروا إلى أنواع الاسم بقولهم : ((اعلم إنّ الاسماء على قسمين : معرفة ونكرة ، فالمعرفة على خمسة أوجه: أسم علم ، واسم معهود ، واسم مبهم ، واسم مضمر ، واسم مضاف إلى أحد هؤلاء المعارف)) (التفاحة في النحو ، ١٩٦٥ ، ٢١) ، و ((أما النكرة : فكلّ اسم شائع في جنسه لا يُخصّ به واحد دون آخر)) (البسيط في شرح الجمل ، ٣٠٠ / ١) ؛ ولأهمية الاسم المعرفة في عملية التواصل بين المتكلم والمتلقي ، ذكروا أنواعه من مثل قولهم : ((العلم ضربان : ضرب للفرق بين الأشخاص ، نحو : زيد وعمرو وضرب للفرق بين الأجناس ، نحو : أسامة وثمانية ؛ فالأول : فيما يعني الانسان ؛ للفرقة بين أشخاصه ، لمخالطته له احتياجه إليه ، والثاني : فيما لا يعنيه إلا معرفة جنسه لعدم المخالطة له والاحتياج إليه فيه)) (التوطئة ، ١٩٨١ ، ١٨٨ . ١٨٩) ، واصطلحوا على الاسم المعرفة وأنواعه بـ (العلم) ومن أنواع هذا العلم هو الاسم المعرف بـ (الاضافة) ، وعرفه النحويون بقولهم : ((الاضافة : هي ضمّ اسم إلى اسم هو غيره بمعنى اللام)) (توجيه اللمع ، ٢٠٠٧ ، ٢٥٠) ، ويقصد

بمعنى اللام التعريف ، ويكتسب المضاف إليه حكما اعرابيا وهو الجر : ((فإذا أضفت اسما إلى اسم خفضت المضاف إليه ، وأجريت الأول بالإعراب وحذفت منه التتوين ، وفي التنثية والجمع النون ، وتُنكر وتعرّف بالمضاف إليه)) (الجمل ، ١٩٢٦ ، ١٥٥) ، وهذا التركيب له وظيفة دلالية في السياق اللغوي ، وأنساقه النحوية ، يلجأ إليها المتكلم لغرض من الأغراض المعنوية ، والبلاغية لبيان مقصده الدقيق ، أشار إليها النحويون من مثل قولهم : ((وأما المضاف إلى المعرفة فنحو قولك : هذا أخوك ، ومررتُ بأبيك ، وإنما صار معرفة بالكاف التي أضيفت إليها ؛ لأنّ الكاف يراد الشيء بعينه دون سائر أمته)) (الكتاب ، ١٩٩١ ، ٥/٢) ، فالإضافة هنا جاءت لمعنى (التخصيص) ، وقولهم : ((الاضافة المعنوية ، إنّما أفادت تعريفا مع المعرفة ؛ لأنّ وصفها لتفيد أنّها لواحد مما دلّ عليه المضاف مع المضاف إليه خصوصية ليست للباقي معه ، مثلا : إذا قلت غلام زيد راكب ولزيد غلمان كثيرون ، فلا بدّ أن تشير به إلى غلام من بين غلمانه ، له مزيد خصوصية بزيد ، إمّا بكونه أعظم غلمانه أو بكونه غلاما معهودا بينك وبين المخاطب ، وبالجملة يجب اطلاق اللفظ إليه دون سائر الغلمان)) (شرح الكافية ، ١٩٩٦ ، ٢ / ٢٠٨) ، فهذه الاضافة لمعنى واصطلاح عليها بالإضافة المعنوية ، أو (المحضة) ((والاضافة المعنوية تسمى المحضة : وهي التي لا ينوي بها انفصال المضاف من المضاف إليه ، وهي بمعنى اللام)) (توجيه اللمع ، ٢٠٠٧ ، ٢٥٢) ، وقيل كذلك : ((الاضافة المحضة : وهي التي يتعرف بها المضاف إذا كان المضاف إليه معرفة ، ويتخصص إن كان نكرة)) (المقرب ، ١٩٧٢ ، ١ / ٢٠٩) ، فالإضافة لها وظيفة في الخطاب التواصلية بين المتكلم والمتلقي ، الغرض منها ((هو التعريف ، والتخصيص ، والشيء إنّما يُعرف بغيره)) (الخصائص ، ٤/٣) ، فالإضافة بمعنى (ال) التعريف ، أو (العهد) كما اصطلاح على ذلك أهل اللغة فهي تفيد التعريف ، والاشارة إلى شيء مخصوص ، ومحدد في ذهن المتلقي ((فلا يلزم فيما هو بمعنى اللام أن يجوز التصريح بها ، بل يكفي افادة الاختصاص الذي هو مدلول اللام ... نحو : ضرب اليوم ، وقتيل كربلاء ، بمعنى اللام كما قال النحاة)) (شرح الكافية ، ٢٠٧/٢) ، والمقصود بأنّها بمعنى اللام هو (التعريف والعهد) الذي يشير إلى شيء معين في ذهن المتلقي ، فمن معاني (ال) التعريف وهو : ((أن تعرّف الاسم على معنى العهد ، كقولك : جاءني الرجل ، فإنّما تخاطب بهذا مَنْ بينك وبينه عهدٌ برجل تشير إليه ، لولا ذلك لم تقل : جاءني الرجل ، ولكنك تقول : جاءني رجلٌ ... ، إنّما صار معرفة لإشارتك بهذه الألف واللام إلى العهد الذي بينك وبين مخاطبك فيما دخلت عليه هذه الألف واللام)) (كتاب اللامات ، ١٩٨٥ ، ٤٣) ، وقيل فيها : ((فمنها " ال " وهي حرفٌ من الهوامل وإنّ كان يختصّ بالاسم ؛ لأنّه مع ما دخل عليه كالشيء الواحد ، ولها مواضع : أحدها : أن تكون لتعريف العهد ، كقولك : جاءني الرجل إذا أردتّ واحدًا بينك وبين المخاطب فيه عهدٌ)) (معاني الحروف ، ٢٠٠٥ ، ٤١) ، فالعهد والتعريف له علاقة مباشرة في مسألة ائصال المعلومة للمتلقي ، فيدخل في هذا النوع (المعرف بالإضافة) أي يكون معرفا ومعهودا عند المتلقي ، فلا يذهب معنى الخطاب ومقصده بعيدا عن ذهن المخاطب ؛ وهذا ما استعمله العرب في مخاطبتهم من مثل قولهم : ((" أهل الله " كان يقال لأهل قريش في الجاهلية ؛ لما تميزوا به عن سائر العرب من المحاسن والمكارم ، والفضائل والخصائص ، التي هي أكثر من أن تُحصى . فمنها مجاورتهم بيت الله ... ومنها ما تفردوا به من الايلاف والرفادة)) (ثمار القلوب ، ١٠) وعلى أساس فكرة التعريف والعهد سنبحث تركيب الاضافة في (أهل الذكر) على أنّه اشارة لغوية تشير إلى معهود معرف عند المتلقي ، يُراد التعرف عليه ذهنيا ؛ استعدادا لتلقي المعلومة التي يريد المتكلم ائصالها للمتلقي ، وهذه المسألة تدخل ضمن العمليات التداولية في التواصل اللغوي ، واصطلاح عليها بـ (الاحالة) حيث ((تُعدّ الاحالة في النحو الوظيفي عملية ذات طبيعة تداولية تقوم بين المتكلم والمخاطب في موقف تواصلية معين ، يستهدف المتكلم أن يحيل المخاطب على ذات معينة)) (قضايا اللغة العربية ، ٢٠٠٣ ، ٣٣) ، وقد استعمل القرآن الكريم طريقة تعدّ ذات فصاحة عالية لتوضيح معاني الآيات ، وهو في الحقيقة أسس تواصلية لغوية وظيفته إظهار ((القصدية في النصّ القرآني ما استدعى بناء لغويا خاصا ... يستوفي عمليات الإبلاغ والافتناع)) (النحو القرآني ، ٢٠١٢ ، ٣٧) ، فالقرآن يسعى لإظهار

مقصده بصورة لا لبس فيها ؛ لذلك اعتنى بأنساقه النحوية ، وتراكيبه اللغوية ((فما من شك أنّ التركيب عمل أسلوبى يأتي تاليا لاختيار العناصر اللغوية ، ويكون ناتج ذلك تركيبا لغويا تظهر فيه مجموعة من الظواهر والسمات)) (التفكير الاسلوبى، ٢٠١٠، ١٩٦)، فعلى المتكلم أن يضمن خطابه بعض الاشارات ليعين المتلقي على فهم قصده ومعرفة رسالته الضمنية في التركيب اللغوي ، أي يظهر (المناسب الاستدلالي) ؛ وهو ((مناسب ؛ لأنّ المتكلم يستعمل المثير الملائم لإبلاغ افتراضاته ، وهو استدلالى ؛ لأنّ المتلقي يستدلّ على القصد الاخباري ، انطلاقا من المؤشرات المسوقة من قبل المتكلم)) (التداولية عند العلماء العرب ، ٢٠٠٧، ٣٨) ، وبعض الباحثين اصطلح على هذه العملية بـ ((" المقاربة الاستدلالية " وهي : مؤشرات يقدمها القائل حتى يستطيع المستمع الاستدلال بها على مقاصد الأول ، انطلاقا من مجموع المقدمات التي تجعل العملية الاستدلالية تتسع لتشمل كلّ الامكانات التي يوفرها القول بدلالة كلماته وطريقة تركيبها ، وأبعادها وإيحاءاتها)) (عندما نتواصل بغير ، ٢٠٠٦ ، ٤٦) ، وعلى أساس هذه الأفكار سنبحث قوله تعالى (وأسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون) كونه يمثل تركيباً يحيل على شيء محدّد ومعين ، حيث تكون وظيفة الاضافة في (أهل الذكر) هي : (التعريف والتعيين) على معهود قد سبق ذكره ، وببینه القرآن في مواضع مختلفة من الذكر الحكيم ، حيث يعتمد القرآن في أنساقه اللغوية إلى تضمين ما يساعد المتلقي على تلقي رسالته على وفق المنظومة الثقافية التي تحكم نظام التواصل بين المتكلم والمتلقي ، أي يكون ((تواصل تصريحيا بشكل جزئي ، ويكون ضمنيا بشكل جزئي أيضا . وكلّ دلالة تنشأ في قسم منها عن معطيات ضمنية ، وغالبا ما يبدو في الواقع نصيب الضمني أوفر من نصيب التصريح)) (التداولية من أوستن إلى غوفمان ، ٢٠٢١ ، ١١٧) ، مما يتيح للباحث عن المعنى والمقصد الدقيق في الآيات القرآنية مجالا أوسع في البحث والتفكير ، إذ ((بإمكانه أن يأخذ كلّ واحدة من التصريحات الناتجة ، وأن يوسع السياق المباشر بأن يضيف إليه الأبواب الموسوعية لكافة المفاهيم التي تظهر في التصريح ، وأن يتحرى بصورة منتظمة تأثيراته السياقية في ذلك السياق)) (نظرية الصلة أو المناسبة ، ٢٠١٦ ، ٣٤٨) ، وعلى أساس هذه الأفكار سنبحث سياق الآية والآيات الأخرى ذات العلاقة ؛ للوصول إلى مقصد القرآن الكريم الدقيق في اللجوء إلى التعريف بالإضافة في تركيب (أهل الذكر) ، وسنبين أنّ المقصود هو الرسول " صلى الله عليه وعلى آله وسلم " .

المبحث الأول :

أولا : منزلة الرسول العلمية

دافع القرآن الكريم عن الرسول " صلى الله عليه وعلى آله وسلم" منذ بدأ الدعوة لحين انتقاله إلى الرفيق الأعلى ، ودأب القرآن الكريم في آياته على رفع منزلة الرسول ، وبيان مكانته المخصوصة عند الله ؛ إذ وصفه الله سبحانه وتعالى ، بأوصاف بيّنت منزلته الرفيعة ، ودرجته العالية ، ووردت الآيات الكثيرة في بيان هذه المنزلة من مثل قوله تعالى حينما بيّن الله أنّ كلام الرسول " صلى الله عليه وعلى آله وسلم " ، هو وحي من الله ؛ لأنّ المشركين اعتقدوا أنّ محمداً صلى الله عليه وعلى آله وسلم " قد ادعى النبوة ، وابتدع هذا الدين { وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ } (سورة النجم ، الآيت : ٣ ، ٤ ، ٥) ، وقيل في تفسيرها : ((إذ قالوا اختلق القرآن ونسبوه إلى الشعر ، وقالوا هو كاهن ومجنون ، فأقسم تعالى أنّه ما ضلّ ، وأنّ ما يأتي به هو وحي من الله)) (البحر المحيط ، ٢٠١٠ ، ١٥٤/٨) ، ومن مثل قوله تعالى : { وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ } (سورة القلم ، الآيتان : ٣ ، ٤) ، وقيل في تفسيرها : ((قوله " أنّ لك " خطاب للنبي يقول له " أنّ لك " يا محمد " لأجرا" أي ثوابا من الله على قيامك بالنبوة وتحملك بأعبائها ، " غير ممنون " أي غير مقطوع ... ؛ ومن وصفه الله بأنّه على خلق عظيم فليس وراء مدحه مدحٌ)) (التبيان في تفسير القرآن ، ٢٠٠٩ ، ١٠ / ٧٥) ، وتعظيم الله لرسوله " صلى الله عليه وعلى آله وسلم " ظاهر في آيات بينات لا تكاد سورة من سور القرآن الكريم تخلو منه ، حينما قرن الله سبحانه وتعالى طاعته بطاعة رسوله ، من مثل قوله

تعالى : { مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا } (سورة النساء ، الآية : ٨٠) ، وقطعا من يفعل ذلك فله الجزاء الأوفى ، ومن لا يفعل فهو خاسر مبين له جهنم جزاء ؛ لقوله تعالى : { وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ } (سورة النساء ، الآية : ١٤) ، فمكانة الرسول لا تدانيها مكانة انسان بكل مقاييس الا استحسان التي نعرفها ؛ وذلك للدور الذي يريده له الله في قيادة البشرية ، فحاز رسول الله " صلى الله عليه وعلى آله وسلم " الكمالات السماوية ، فضلا عن الكمالات الأرضية ؛ فقد كان يُلقب بـ (الصادق الأمين) قبل مبعثه ، وأكد القرآن هذه الصفة في قوله تعالى : { إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ } (سورة التكوير ، الآيات : ١٩ ، ٢٠ ، ٢١) ، وهي : ((مباينة لمنزلة أفضل الأنس محمد إذا قارنت بين الذكرين حين قرن بينهما)) (الكشاف ، ٢٠٠٩ ، ١١٨٤) ، ومن أهم الصفات السماوية للرسول " صلى الله عليه وعلى آله وسلم " هي صفة العلم المكتسب ، فقد تعلم القرآن وعلمه من لدن الخالق نفسه ، وقد بينت الآيات الكريمة ذلك من مثل قوله تعالى : { أَلَمْ يَكُنْ مِنْ أَلْفِ نَبِيٍّ مَنْ لَدُنْكَ يُبَيِّنُ لِأُمَّةٍ مَا نَهَا عَنْهَا وَيُرْسِلُ إِلَيْهَا رَسُولًا وَهُوَ فَاعٍ } (سورة هود ، الآية : ١) ، ومن بين الأسباب ، والغاية التي من أجلها أنزل هذا القرآن ، هو العلم وبيان هذا العلم وتعليمه ، واختار الرسول " صلى الله عليه وعلى آله وسلم " ؛ ليكون معلما ومبينا لآيات القرآن وعلمه ، وأوضح ذلك بكثير من الآيات من مثل قوله تعالى : { رَبِّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } (سورة البقرة ، الآية : ١٢٩) ، وقيل في تفسيرها : ((فبعث في ذريته "رسولا منهم" وهو محمد)) (فتح القدير ، ٢٠٠٧ ، ٩٥) ، وقيل : ((وقوله تعالى : "ويعلمهم الكتاب والحكمة" ، الكتاب : القرآن ، والحكمة المعرفة بالدين ، والفقهاء في التأويل ، والفهم الذي هو سجية ونور من الله)) (الجامع لأحكام القرآن ، ٢٠٠٦ ، ٤٠٢ / ٢) ، فالرسول " صلى الله عليه وعلى آله وسلم " هو المعلم الذي اصطفاه السماء لقيادة الناس في كل مجالات الحياة ؛ لأنه بُعث لكافتهم قال تعالى : { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ } (سورة سبأ ، الآية : ٢٨) ، فصفاته " صلى الله عليه وعلى آله وسلم " التكوينية من الله العلم ، الذي لايدانيه علم إنسان من المخلوقين فهو سيد الخلق أجمعين : فهو المفسر ، وهو المعلم ، وهو المفكر ، وهو القائد ، والرأس لأمة الاسلام دون منازع ؛ لأنه يتلقى القرآن وعلمه من الله قال تعالى : { وَإِنَّكَ لَتَلْقَى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ } (سورة النحل ، الآية : ٦) ، ومعنى الآية : ((" وإنك لتلقى القرآن " أي لتأخذه " من لدن " أي : من عند " حكيم " في أمره " عليم " بخلقه ؛ يعني نفسه تبارك وتعالى)) (تفسير القرآن العزيز ، ٢٠٠٢ ، ٣ / ٢٩٣) ،

وقيل ((" وإنك لتلقى القرآن " لتؤتاه . " من لدن حكيم عليم " أي : وحيا من عند الله ذي الحكمة ، وهذه الآية رد على كفار قريش في قولهم أنّ القرآن من تلقاء محمد بن عبد الله)) (فتح الرحمن في تفسير القرآن ، ٢٠٠٩ ، ٥ / ١١٣) ، وكذلك قيل من مقصدها : ((ثم أنه آية على صدق من أنزل عليه إذ أنبأه بأخبار الأنبياء ، والأمم الماضية التي ما كان يعلمها هو ولا قومه قبل القرآن ، وما كان يعلم خاصة أهل الكتاب إلا قليلا منها أكثره مُحَرَف)) (التحرير والتنوير ، ١٩٨٤ ، ١٩ / ٢٢٣) ومثل هذه الصفات وغيرها كلها للدلالة على منزلة الرسول " صلى الله عليه وعلى آله وسلم " ؛ وليبين أنّ تصديق الرسول هو الباب الموصل إلى الإيمان الحق وأكد ذلك بآيات كثيرة من مثل قوله تعالى : { وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ } (سورة التوبة ، الآية : ٥٤) ، وقيل من معانيها : ((وما منعهم الله إلا من أن تُقبل إلا لأجل أنهم كفروا بالله)) (المحرر الوجيز ، ٤٥ / ٣) ، وقوله تعالى : { إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ يُؤْتُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ نَبِيًّا وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا } (سورة النساء ، الآيات : ١٥٠ ، ١٥١) ، قيل في تفسيرها : (جعل الذين آمنوا بالله وكفروا برسله ، أو آمنوا بالله وبيعض رسله وكفروا ببعض ، كافرين بالله ورسله جميعا وهم الكاملون في الكفر ، و " حقا " تأكيد لمضمون الجملة)) (الكشاف ، ٢٠٠٩ ، ٢٦٨) ، وقد جعل الله سبحانه وتعالى الرسول " صلى الله عليه وعلى آله وسلم " الحامل علم الرسالة ، والمبين

لمقاصد الآيات القرآنية ، وخاطب الناس ، وأهل الأديان السماوية ، والمشركون بصورة لا لبس فيها لبيان هذا المعنى في علم الرسول ومنزلته من مثل قوله تعالى : { يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ } (سورة المائدة ، الآية : ١٥) ، وقيل في تفسيرها : ((أي : من كتبكم ، من الإيمان به ، ومن آية الرجم ، ومن قصة أصحاب السبت الذين مسخوا قردة ؛ فإنهم كانوا يخفونها)) (الجامع لأحكام القرآن ، ٢٠٠٦ ، ٧ / ٣٥٨) ، وقوله تعالى : { كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ } (سورة البقرة ، الآية : ١٥١) ، وقيل معنى الآية في قوله : ((" ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون " وهو ذكر عام بعد خاص ؛ لأنهم لم يكونوا يعلمون الكتاب ولا الحكمة وفسر بعضهم ذلك بأن الذي لم يكونوا يعلمون قصص من سلف ، وقصص ما يأتي من الغيوب)) (البحر المحيط ، ٢٠١٠ ، ١ / ٦١٨) ؛ وعلى هذه المنزلة نستطيع القول أن محور علم الرسول " صلى الله عليه وعلى آله وسلم " هو الدعوة إلى التوحيد ، وعدم الشرك بالله ، فضلا عن معرفة أخبار الأمم الأخرى السابقة وغيرها كثير ، وكل ذلك العلم من الله عز وجل .

ثانيا : تفسير (أهل الذكر) عند المفسرين

نالت آيات الذكر الحكيم عناية المفسرين ، وقد بذل هؤلاء جهدًا واضحًا في تتبع معاني الآيات ومقصدها ، لكن نجدهم في بعض الآيات يذهبون بالمعنى مذهبا بعيدا عن دلالة الآية ، ومقصدها القرآني ؛ ومنها الآية موضع البحث (فاسألوا أهل الذكر) ، إذ نجد تفسيرهم لهذه الآية قد اعتمد على روايات وأثار لم تنظر إلى مقصد الآية الحقيقي ، إذ اتبع هؤلاء المفسرون الرأي الذي يقول أن المعنى لـ (أهل الذكر) يذهب إلى أن المعنيين بهذه الآية هم أهل الكتاب من أهل (التوراة والانجيل) وقد تبناوا هذا الرأي في معظم كتب التفسير المعتمدة التي بين أيدينا من مثل قولهم : ((يريد أهل التوراة الانجيل الذين آمنوا بالنبي ، قاله سفيان : وسماهم أهل الذكر ؛ لأنهم كانوا يذكرون خبر الأنبياء مما لم تعرفه العرب ، وكان كفار قريش يراجعون أهل الكتاب في أمر محمد ، وقال زيد : أراد بالذكر أهل القرآن ، وقال الجعفي : لما نزلت هذه الآية قال علي : نحن أهل الذكر)) (الجامع لأحكام القرآن ، ٢٠٠٦ ، ١٤ / ١٧٨) ، وقيل : ((فاسألوا أهل الذكر ، أي : أهل الكتب من التوراة والانجيل ما كانوا يخبروكم عنهم)) (جامع البيان ، ٢٠٠٣ ، ١٦ / ٢٢٨) ، وقيل : ((أي أسألوا أهل العلم من الأمم كاليهود والنصارى وسائر الطوائف هل كان الرسل الذين أتوهم بشرا أم ملائكة)) (تسير القرآن العظيم ، ٢٠٠٩ ، ٥ / ٣٢٤) ، وقيل : ((أي : التوراة والانجيل يعني علماء أهل الكتاب " إن كنتم لا تعلمون " ، وقال ابن زيد : أراد بالذكر القرآن يعني فاسألوا المؤمنين العالمين من أهل القرآن)) (تفسير الثعلبي ، ٢٠٠٤ ، ٤ / ٢٣٣) ، وقيل : ((أمرهم أن يستعلموا أهل الذكر وهم أهل الكتاب حتى يعلموهم أن رسل الله الموحى إليهم كانوا بشرا)) (فتوح الغيب ، ٢٠١٠ ، ١٠ - ٢٩٧) ، وقيل : ((" فاسألوا " يا معشر كفار قريش " أهل الذكر " يعني مؤمني أهل التوراة)) (تفسير مقاتل بن سليمان ، ٢٠٠٢ ، ٣) ، ونجد هذا التوجيه لمعنى الآية عند المفسرين كلهم مبني على رأي غير دقيق ؛ لأن المقصد القرآني لا يعني أن أهل الذكر هم أهل الكتاب فهناك بون شاسع بين ما قصده القرآن وما ذهب إليه المفسرون ؛ لأن القرآن لم يستعمل تركيب (أهل الذكر) في مخاطبة اليهود والنصارى ، بل استعمل تركيب (أهل الكتاب) للدلالة على اليهود والنصارى ، وفي معظم المواضع في دلالة الذم لليهود والنصارى تشهد بذلك الآيات الكريمة من مثل قوله تعالى : { وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (٦٩) يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ (٧٠) يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ (٩٨) قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُوهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِعَاقِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ } (سورة آل عمران ، الآيات : ٦٩ ، ٧٠ و ٩٨ ، ٩٩) ، وقيل في معنى (أهل الكتاب) : ((نزلت في حذيفة وعمار ، ومعاذ ، حين دعاهم اليهود من بني النضير وقريضة وقيل جميع أهل الكتاب)) (الجامع

لأحكام القرآن ، ٢٠٠٦ ، ٥ / ١٦٧) ، وقوله تعالى : { يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنزِلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَأَتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا } (سورة المائدة ، الآية : ١٥٣) ، وقيل : ((هذا خطاب للنبي يسألك يا محمد أهل الكتاب يعني اليهود أن تنزل عليهم كتابا من السماء)) (التبيان في تفسير القرآن ، ٣ / ٣٧٦) ، وقوله تعالى :

{ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ } (سورة المائدة ، الآية : ١٥) ، وتفسيرها : ((يا أهل الكتاب خطاب لليهود والنصارى)) (الكشاف ، ٢٨٣) ، وقد ورد هذا المعنى ، وتكرر في آيات كثيرة ، بين الله سبحانه وتعالى ما تحمله نفوس أهل الكتاب من ضغينة للرسول " صلى الله عليه وعلى آله وسلم " ، وللمسلمين ، فالخطاب القرآني دقيق في اختيار التراكيب الموحية للمعنى ، والمقصد الذي يريده ، وعلى ذلك يرى الباحث أن تركيب (أهل الكتاب) في المقصد القرآني لا يخرج عن بيان مواقف صفات الذم لليهود والنصارى ، مما يعني أن القرآن الكريم أراد تثبيت صورة نمطية متلازمة ذهنياً لمصطلح (أهل الكتاب) فلا يذهب لدلالة ، أو معنى غير الذي أراده الله عز وجل في صفة اليهود والنصارى ، فقد ذكرهم وبين صفاتهم في مواضع كثيرة من مثل : عدم رغبتهم بالخير للمسلمين ، وبغضهم لهذا الخير والإحسان ، وبين الله ذلك في قوله تعالى : { مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ } (سورة البقرة ، الآية : ١٠٥) ، وبين رغبتهم في بقاء الشرك بالله حسدا منهم ، في قوله تعالى : { وَكَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ } (سورة البقرة ، الآية : ١٠٩) ، وكذلك بيان استنكار الله سبحانه وتعالى كفرهم ، وصددهم الناس عن سبيل الله في قوله تعالى : { قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبِعُونَهَا عَوَاجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِعَاقِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ } (سورة آل عمران ، الآياتان : ٩٨ ، ٩٩) ، وكذلك بين الله غلو أهل الكتاب في الدين وكفرهم في قوله تعالى : { يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ } (سورة النساء ، الآية : ١٧١) ، وقد بين الله سبحانه نعمتهم على الإسلام والمسلمين ؛ لإيمانهم واتباعهم الحق ، في قوله تعالى : { قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَتَّقُمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ أَمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ } (سورة المائدة ، الآية : ٥٩) ، وغيرها كثير من الآيات التي تبين سوء سيرتهم ، وكيدهم للإسلام ، وكفرهم والاصرار على ذلك ، وعلى وفق ذلك ليس هناك منطلق عقلي أن يحيل القرآن في طلب العلم ، والتبيين على هؤلاء ؛ لكي لا يكون تناقض بين هدف القرآن ، فهو من جانب أمر المسلمين بعدم الأخذ من أهل التوراة والإنجيل لكفرهم ونفاقهم ، فكيف يأمر الناس بسؤالهم عن أمر الدين ، والأمم السابقة ، فهذا يستلزم قضايا من أهمها : الطعن في مصداقية صاحب الرسالة " صلى الله عليه وعلى آله وسلم " كونه مفنق إلى غيره لتصديق دعواه ، وكذلك يؤكد الدعوى التي ادعاها المشركون واليهود في أن الرسول " صلى الله عليه وعلى آله وسلم " كان يأخذ علمه من بشرٍ وقد وردت آيات بينات في بيان هذا الادعاء الباطل من مثل قوله تعالى : { أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ } (سورة الدخان ، الآياتان : ١٣ ، ١٤) ، ومن مثل قوله تعالى : { وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا } (سورة الفرقان ، الآية : ٥) ، وحقيقة أن هذه الشبهات وغيرها قد ظهرت منذ بداية الدعوة إلى يومنا هذا ؛ فهل يُعقل أن يحيل القرآن بالسؤال ، والاستفسار من اليهود والنصارى مؤكداً دعواهم ، وطاعناً في رسوله " صلى الله عليه وعلى آله وسلم " ومنزلته ، ولا سيما أن ظاهر الآية يخاطب الذين يعارضون الإسلام ، ويتهمونه باطلا عبر التعجب من أن الله أرسل بشراً مثله ؛ ولذلك يرى الباحث على وفق هذه المعطيات القرآنية ، أن تركيب (أهل الذكر) لا يمت إلى اليهود والنصارى بأي صلة ظاهرة ، أو خفية بالمعنى ، وأن المفسرين قد ذهبوا إلى ما لا يصح حينما قالوا برأيهم أن (أهل الذكر) هم اليهود والنصارى ، وأن المقصد القرآني وآياته المحكمة لا يناقض نفسه ، فيكون معنى (أهل الذكر) غير الذي ذكروا ، بل يُقصدُ به الرسول " صلى الله عليه وعلى آله وسلم " وهو ما سنؤكداه بالمبحث التالي .

المبحث الثاني :

أولاً : العلاقة التلازمية بين لفظة (الذِّكْر) والرسول :

إنّ تلازم الرسول " صلى الله عليه وعلى آله وسلم " مع القرآن الكريم تلازم وثيق، وقد أظهرت الآيات وثيقة هذا التلازم في مواضع لا تكاد تخلو منها سورة من سور القرآن الكريم ، وظهر هذا الارتباط بألفاظ ومفردات كثيرة ، ومتنوعة وأكثرها وروداً ووضوحاً في إظهار هذا التلازم هي ألفاظ الصيغ الصرفية التي تشترك بالجذر اللغوي (ذ ، ك ، ر) ، فقد وردت كثير من المفردات في معنى الفعل (ذَكَرَ) الثلاثي ومشتقاته ، من صيغ الأفعال من مثل: (انكز ، مذكر ، تذكر ، ذكرى ، تذكر ، ذكّر ، يذكر) وغيرها كثير ، ولعل ارتباط هذه اللفظة ومشتقاتها بـ (ذكر الله) ، (واليوم الآخر) ، (وبالعباقب والثواب) ، تدلّ على مسألة التبليغ ووسيلته المتبعة ؛ وهي (ذكر الله) والتذكير به على كلّ حال ؛ ولهذا حرص القرآن الكريم على تأكيدها ، وبيانها ، وإظهار مقصديتها ، عبر توضيح ارتباطها بالرسول " صلى الله عليه وعلى آله وسلم " ، مؤكداً مقصد التلازم بينهما (القرآن والرسول) ؛ وسيكون تركيز البحث وعنايته على الآيات التي يظهر فيها الارتباط بين الذكر والرسول " صلى الله عليه وعلى آله وسلم " لعلاقتها بفكرة البحث ، وتبسيطاً للمعلومة ، وبيان المقصد القرآني ، سنبحث العلاقة التلازمية على وفق جوانب منها :

١ . (أمر الله لرسوله بالتذكير)

قد وردت آيات فيها خطاب مباشر إلى الرسول " صلى الله عليه وعلى آله وسلم " يبيّن فيها القرآن بوضوح مسألة التبليغ ، والدعوة إلى الله ؛ عن طريق الذِّكْرِ ، إذ يوحي لفظ الذكر بأية خاصة من آليات الدعوة والتبليغ ، أختص بها الرسول " صلى الله عليه وعلى آله وسلم " ، من مثل قوله تعالى: { فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ } (سورة الغاشية ، الآية : ٢١) ، وقيل في تفسيرها : ((أي : فذكر عبادي حجج وآياتي " إنما أنت مذكر " أي ليس عليك إلا التذكير)) (اعراب القرآن ، ٢٠٠٨ ، ١٣١٤) ، وقوله تعالى : { نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَفُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ } (سورة ق ، الآية : ٤٥) ، وقيل في تفسيرها : ((أي : فذكر يا محمد بهذا القرآن من يخاف وعيدي الذي أوعدته من عقابي)) (الهداية إلى بلوغ النهاية ، ٢٠٠٨ ، ١٠ / ٧٠٦٧) ، وقوله تعالى : { فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ } (سورة الطور ، الآية : ٢٩) ، ، وقيل في تفسيرها : ((أمره بالتذكير انذارا للكافر ، وتبشيراً للمؤمن ودعاء الله تعالى بنشر رسالته ، ثم نعى عنه ما كان الكفار ينسبونه إليه من الكهانة والجنون)) (البحر المحيط ، ٢٠١٠ ، ٨ / ١٤٨) ، من مثل قوله تعالى : { وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ } (سورة الذاريات ، الآية : ٥٥) ، وقوله تعالى : { فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى سَيَذَكِّرُ مَنْ يَخْشَى وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى } (سورة الأعلى ، الآيات : ٩ ، ١٠ ، ١١) ، وغير هذه الآيات كثير ، وعلى وفق مقصد هذه الآيات ، فإنّ الرسول " صلى الله عليه وعلى آله وسلم " مذكر للناس بوحدانية الله ، ونعمه عليهم ، فحقّ عليهم عبادته شكراً وامتناناً لفضله ؛ ولا يخفى ما للصيغة الصرفية (ذَكَرَ) (فعل) من دلالة مناسبة لوظيفة التذكير التي استعملها القرآن ؛ لأنّ هذه الصيغة تدلّ على معنى التكرير في الفعل ((تقول : كسرتها وقطعتها ، فإذا أردت كثرة العمل قلت : كسرتها ، وقطعتها ، ومرّقتها)) (الكتاب ، ١٩٩١ ، ٤ / ٦٤) ، وقيل في تحليل هذا المعنى: أنّ العرب ((جعلوا تكرير العين في المثال دليلاً على تكرير الفعل ، فقالوا: كسر ، وقطع ، وفتح)) (الخصائص ، ٢٠٠٠ ، ٢ / ١٥٥) ، فالرسول " صلى الله عليه وعلى آله وسلم " دعاهم لهذا الأمر في كلّ الأحوال ولم يقصر أبداً عن ذلك .

٢ . (تسمية القرآن بـ " الذكر ")

وردت ألفاظاً متعددة في تسمية القرآن الكريم فهو (الفرقان ، والهدى ، والكتاب ، والنور) وغيرها ؛ ولعل أكثر الاستعمالات التي جاءت مخاطبة الرسول " صلى الله عليه وعلى آله وسلم " تسمية (الذكر) وقد قُصِدَ بها القرآن الكريم ولنا شواهد من

الآيات كثيرة من مثل قوله تعالى: { كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا } (سورة ، طه الآيتان ٩٩ ، ١٠٠) ، وقيل في تفسيرها : ((نقص عليك من سائر أخبار الأمم ، وقصصهم وأحوالهم وأن هذا الذكر الذي آتيناك ؛ يعني : القرآن مشتملا على هذه الأقسام ، والأخبار الحقيقية بالتفكير والاعتبار)) (الكشاف ، ٢٠٠٩ ، ٦٦٥) ، وقوله تعالى : { إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ } (سورة فصلت ، الآية : ٤١) ، وقيل أن ((الذكر يعني القرآن)) (تفسير القرآن العزيز ، ٤ / ١٥٥) ، وقوله تعالى : { وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ } (سورة القلم ، الآيتان : ٥١ ، ٥٢) ، وفسروا الآية بقولهم : ((" ليزلقونك " قارب أن يصيبوك بأعينهم ، " لما سمعوا الذكر " القرآن)) (فتح الحمن ، ٧ / ١٣٧ ، ١٣٨) ، وقوله تعالى : { وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ } (سورة النحل ، الآية : ٤٤) ، وقيل في تفسيرها : ((" أنزلنا إليك الذكر " أي القرآن ، ثم بين الغاية المطلوبة من الانزال فقال " لتبين للناس " جميعا " ما نزل إليهم " في هذا الذكر من الأحكام الشرعية ، والوعد والوعيد)) (فتح القدير ، ٢٠٠٧ ، ٧٨٣) ؛ فالذكر هو القرآن الكريم في معظم الآيات التي ورد فيها ؛ وهي مسألة فطن إليها المفسرون وذكرها هذا المعنى من مثل قولهم : ((فتسمية القرآن ذكر تسمية جامعة عجيبة لم يكن للعرب علم بها من قبل أن ترد في القرآن ، وكذلك تسميته قرآنا ؛ لأنه قصد من إنزاله أن يُقرأ ، فصار الذكر والقرآن صنفين من أصناف الكلام الذي يُلقى للناس لقصد وعيه وتلاوته)) (التحرير والتنوير ، ١٩٨٤ ، ١٤ / ١٧) ولا يختلف اثنان في تلازم الرسول " صلى الله عليه وعلى آله وسلم " مع القرآن .

٣ . الرسول والذكر :

ارتبطت نعت الرسول " صلى الله عليه وعلى آله وسلم " بالذكر (القرآن) ، أو صاحب الذكر ؛ من أول نزوله ، وقد علم المشركون بهذا الارتباط والملازمة ، فكان خطابهم مع الرسول " صلى الله عليه وعلى آله وسلم " بعنوان (صاحب الذكر) وقد بينت الآيات كثيرا من مواقفهم في هذا المعنى من مثل قوله تعالى : { أَنْزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرَ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَدُوقُوا عَذَابٍ } (سورة ص ، الآية : ٨) ، وقيل في معنى الآية : ((الاستهزاء انكاري ، ومناط الانكار هو الظرف " من بيننا " وهو في موضع حال من ضمير " عليه " فأنكروا أن يُخصَّص محمد بالإرسال ، وانزال القرآن دون غيره منهم)) (التحرير والتنوير ، ٢٣ / ٢٢٣) ، فقد أنكر المشركون اصطفا الله لمحمد " صلى الله عليه وعلى آله وسلم " ونزول القرآن عليه ، ولم يعترضوا على لفظ الذكر بل تقبلوه ونعتوا الرسول " صلى الله عليه وعلى آله وسلم " ، وأشاروا إليه بذلك ، وقد تكرر هذا النعت في آيات أخر من مثل قوله تعالى : { وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ } (سورة الحجر ، الآية : ٦) ، ((ومعناها : وقال هؤلاء المشركون لك ، يا محمد ؛ يا أيها الذي نزل عليه القرآن : إنك لمجنون في دعائك إيانا إلى أن نتبعك)) (الهداية إلى بلوغ النهاية ، ٢٠٠٨ ، ٦ / ٣٨٦٤) ، وقوله تعالى : { أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ } (سورة الأعراف ، الآية : ٦٣) ، ((أي منزل على رجل منكم تعرفون نسبه)) (الجامع لأحكام القرآن ، ٩ / ٢٦٢) فالذكر يعني القرآن الكريم ؛ وقد ورد في مواضع كثيرة بهذا المعنى ومن دون لبس عند المتلقي من مثل قوله تعالى : { فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ الطَّلَاق } (سورة الطلاق ، الآيتان : ١٠ ، ١١) ، وقوله تعالى : { أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلْتُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَرَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ فَادْكُرُوا آلَاءَ } (سورة الأعراف ، الآية : ٦٩) ، وقوله تعالى : { هَذَا ذِكْرٌ وَإِن لِلْمُتَّقِينَ لِحُسْنٍ مَابٍ جَنَّاتٍ عَدْنٍ مَفْتَحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ } (سورة ص ، الآيتان : ٤٩ ، ٥٠) ، وقوله تعالى : { قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ وَلِتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ

بَعْدَ جِينِ { (سورة ص ، الآيات : ٨٦ ، ٨٧ ، ٨٩) ؛ وعلى ذلك لا نبتعد عن المقصد القرآني الدقيق ، إذا ما قلنا أن لفظة (الذكر) ومشتقاتها مختصة بالرسول " صلى الله عليه وعلى آله وسلم "

ثانيا : معنى (أهل الذكر)

ذكرنا في بداية البحث أن (التعريف بالإضافة) له دواعيه ، ومقاصده ، وأن استعمال هذه الاضافة عند المتكلم لدواعي دلالية ، ومقصد دقيق من أهمها : (التعريف) و (التخصيص) ، فهو عند استعمال التعريف بالإضافة لإظهار مقصده يتبع قوانين اللغة المستعملة ، ويراعي أصول الخطاب ؛ ليجعل مقصده واضحا دون لبس ، ويضمن كلامه ألفاظ تساعد المتلقي على الفهم والاستيعاب ؛ فيتبع لذلك ((بنية لغوية متسقة ذات صناعة ونسج ، موجهة إلى متلقٍ ، وراءها منتجٌ له مقاصد معينة ، وهي قابلة للفهم والتأويل بأشكال متباينة ، وفي مقتضيات أحوال مختلفة)) (التأويلية العربية ، ٢٠١٠ ، ٣٥٥) ؛ وعليه يقوم المتكلم حينما ينتج النص بـ ((فعل ارادي فاعل بالغ الإحكام ، ولا يمكن أن ننتج نصا من فراغ ؛ لأن النص لا يمكن فهمه إلا عبر النصوص السابقة ، أو المتزامنة معه أي عبر خلفية ثقافية معينة)) (نظرية النص ، ٢٠٠٧ ، ٧٩) ، فهو يحيل على معلومات يمتلكها المتلقي ؛ ليفهم المعنى ، أو المقصد المراد ، وهذا ما اتبعه القرآن الكريم حينما استعمل تركيب (أهل الذكر) ، فقد قدم المعلومات حول لفظة (الذكر) التي استعملها بصيغة الفعل ، والاسم ، ووضح المقصود بالذكر عبر السياق المصاحب للآيات الكريمة ، وبين بصورة لا لبس فيها أن الرسول محمد " صلى الله عليه وعلى آله وسلم " مرتبط وملزم للذكر ، أو القرآن ؛ لذلك حينما استعمل اضافة (أهل) إلى (الذكر) أراد مقصداً محدداً عبر التعريف ، غرضاً دلاليّاً عبر التخصيص فاستعمل لفظة (أهل) التي تعطي في الاستعمال معاني مختلفة من أشهرها معنى الخصوصية الملازمة ، من مثل قولهم : ((أهل : أهل الرجل : زوجه ، وأخصّ الناس به ... ومن هذا يقال : فلان أهل كذا أو لكذا ، قال تعالى " هو أهل التقوى وأهل المغفرة)) (المعجم مرتبا على حروف المعجم ، ٢٠٠٣ ، ١ ، ٩٦ /) ، وقولهم : ((وهو أهل لكذا : أي مستوجب له ، الواحد والجمع في ذلك سواء)) (المحكم والمحيط الأعظم ، ٢٠٠٠ ، ٤ / ٣٥٦) ، وقيل : ((أهل : الهمزة ، والهاء ، واللام أصلان متباعدان أحدهما الأهل ... وأهل الرجل أخصّ الناس به ، وأهل البيت سكانه ، وأهل الاسلام من يدين به)) (معجم مقاييس اللغة ، ١٩٧٩ ، ١ / ١٥٠) فالعرب تستعمل الاضافة المحضة لأغراض منها : التخصيص ((اعلم أن الاضافة المحضة لما لم تكن في نية الانفصال اكتسى المضاف فيها كثيرا من أحكام المضاف إليه ، وجملة ذلك سبعة ... الثاني : التخصيص)) (توجيه اللمع ، ٢٥٣) ؛ لذلك قال النحويون في توضيح معنى التخصيص : ((وأما الاضافة كابن عمر ، وابن عباس ، ليسا في الأصل المخصوص لبني عمر ، ولا من بني العباس ، ولكن لمن بينك وبين مخاطبك فيه تعارف منهم ، واستعمل ذلك في عبدي الله ، حتى غلبا عليهما بحيث يُطلقان فلا يُفهم منهما غيرهما)) (التوطئة ، ١٩٠) وقد اتبع القرآن الكريم سمت العرب وطريقة كلامهم ، فلم يخرج عن قوانين اللغة المستعملة في التواصل ، وبيان المقاصد التي يريدتها المتكلم ؛ إذ قدم المعطيات التي تساعد على فهم معنى (الذكر) حينما أورد الآيات الكثيرة التي فيها جذر (ذ ك ر) ، وصيغه المختلفة التي جاءت لبيان اختصاص معانيها بالرسول " صلى الله عليه وعلى آله وسلم " سواء في ذلك اختصاصه بتذكير الناس بوحداية الله ، أو اختصاصه بالذكر (القرآن) ، وكذلك نعت المشركين له بالذي (نزل عليه الذكر) ؛ فهذه كلها معطيات لغوية ، وتعاون في مبدأ المحادثة لتعين المتلقي على الفهم والاستيعاب ، فلا ينصرف الذهن لمعنى غير مراد ، أو مقصد بعيد عن إرادة القرآن ، فينبني بسبب ذلك فهما خاطئا يؤدي إلى اللبس وهذا لا يليق بالقرآن ، ورسائله الموجهة للناس كلاًهم .

وعلى ذلك يكون معنى (أهل الذكر) مختصا بالرسول محمد " صلى الله عليه وعلى آله وسلم " ؛ لأننا لو أخذنا برأي من قال بأن المعنى (أهل التوراة والأنجيل) ، سيكون هناك لبس من جهات من أهمها :

١ - السياق المصاحب لورود تركيب (أهل الذكر)، والمقصد التواصلية منه ؛ فقد جاءت بشكل صريح ومباشر في موضعين :

الأول : قوله تعالى: { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ } (سورة النحل ، الآيات : ٤٣ ، ٤٤) .

الثاني: قوله تعالى: { وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ } (سورة الأنبياء ، الآية: ٧) .

في آيتي سورة النحل بدأ الخطاب موجها إلى الرسول " صلى الله عليه وعلى آله وسلم " ثم توجه بالخطاب العام بقوله " فاسألوا أهل الذكر " مع قرينة شرطية (إن كنتم لا تعلمون بالبينات والزبر) ، وهو خطاب للمشركين والكافرين من قريش ، أو أهل الكتاب من اليهود والنصارى ، ثم أظهر في الآية الثانية المقصد ، والمطلب لأي معلومات ، والمصدر الصادق لها ، وهو الذكر المنزل على رسول الله " صلى الله عليه وعلى آله وسلم " فدلالة الآية الأولى تطلب منهم السؤال من أهل الذكر أولا ؛ وبعدها أوضح مخاطبا الرسول " صلى الله عليه وعلى آله وسلم " ومعرضا عن المشركين ببيان العلوم المجموعة في الذكر الشريف ، والتي علمها الله لرسوله الكريم ؛ وطلب السؤال من الكفار ، والمشركين هو تعريض بهم ، وتضمنين لتحقير سوء سريرتهم التي أثبتتها من مثل (الشرك ، التحريف ، قتلهم الأنبياء ، الكذب على الله ، وغير ذلك) ؛ فقوله (إن كنتم لا تعلمون) يبين اتجاهين في فضحهم ؛ الأول : قولهم إنهم لا يعلمون أن المرسلين للأمم السابقة رجالا ؛ وهم أصحاب كتاب ، ويدعون المعرفة بـ (التوراة والانجيل) وقد بين القرآن الكريم كيف اختلفوا في البيئات والزبر التي جاء بها أنبياء بني اسرائيل وغيرهم ، وكيف كذبوا فيما أتاهم رسل الله ؛ من مثل قوله تعالى : { فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ } (سورة آل عمران، الآية: ١٨٤) ، وأكد صورتهم هذه حينما كرر ذلك في قوله تعالى: { وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ } (سورة فاطر، الآية: ٢٥) ، وبين سبب تكذيبهم للرسل وهو الدعوة إلى عبادة الله وحده ، في قوله تعالى: { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ } (سورة الأنبياء ، الآية: ٢٥) ، ثم بين اصرارهم على الكفر ، والبقاء على فكرهم المنحرف عن التوحيد ؛ وذلك بعدم تصديق الرسول " صلى الله عليه وعلى آله وسلم " ، والتمسك بتحريفهم للحق الذي يعرفونه ، في قوله تعالى: { وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَأَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَأَوْا ظُهُورَهُمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ } (سورة البقرة ، الآية : ١٠١) .

وعلى ذلك نجزم أن السياق المصاحب للآيتين في سورة النحل ، وآية سورة الأنبياء ، لا يمكن أن يحيل على (اليهود والنصارى) لطلب المعرفة ، عبر شهادتهم ؛ لأن ذلك يتناقض مع الصورة النمطية التي أظهرها القرآن الكريم وأثبتها لسوء سريرتهم ، من الذين كفروا من اليهود والنصارى .

٢ - النبي " صلى الله عليه وعلى آله وسلم " هو المصدر الوحيد الصادق للبيان :

يظهر ذلك في قوله تعالى: { وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ } (سورة النحل ، الآية : ٤٤) ، فالقرآن الكريم نصب الرسول " صلى الله عليه وعلى آله وسلم " للناس إماما ومرجعا ، يرجعون إليه في كل شيء في أمر دينهم ، وديناهم ، من مثل قوله تعالى : { إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا } (سورة النساء، الآية : ١٠٥) ، وكذلك أمر (اليهود والنصارى) بالرجوع الى رسوله الكريم في طلب الحق ، والحقيقة ، في آيات كثيرة من مثل قوله تعالى : { إِيَّا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ } (سورة المائدة ، الآية : ١٥) ؛ فالقرآن الكريم أظهر افتقار (اليهود والنصارى) للعلم ، والصدق ، والتوحيد ، فهم قد أخفوا حقائق التوراة عن الناس ، وكذلك حرّفوا كلام الله عبر كتابة

كفرهم ، وشركهم بالله بأيديهم ثم نسبوها إلى الله ، من مثل قوله تعالى : { قَوْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَيْشْتَرَوْا بِهِ تَمَنَّا قَلِيلًا قَوْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبْتُ أَيَدِيهِمْ وَقَوْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْتُمُونَ } (سورة البقرة ، الآية : ٧٩) ؛ فهناك صورتان الأولى : صورة صادقة بعلمها المكتسب من الله ، والمتمثلة بالرسول " صلى الله عليه وعلى آله وسلم " ، والأخرى : صورة مشوهة ، كاذبة متمثلة بـ (اليهود والنصارى) التي وصفها القرآن الكريم بأوصاف أظهرت زيفهم ، وكذبهم ، وجراتهم على الله ورسله ، فكيف يحيل القرآن الكريم عليهم ، ليكونوا مصدرا لمعرفة الأمم السابقة ، وأحوالها ، ويترك الرسول " صلى الله عليه وعلى آله وسلم " ، وله المنزلة التي أثبتها القرآن الكريم في كونه المصدر الوحيد لصدق العقيدة ، وأمورها الدينية ، والدنيوية .

٣ . المقصد القرآني الحقيقي لـ (أهل الذكر) :

لقد ذهب المفسرون بعيداً عن المقصد الحقيقي للقرآن الكريم ؛ حينما ذكروا أنّ (أهل الذكر) هم أهل التوراة والإنجيل ؛ لأن ذلك يدخلنا في تناقض دلالي ، فمن جهة شهد القرآن بكذب أهل الكتاب ، وقولهم الزور في محمد " صلى الله عليه وعلى آله وسلم " ونبوته ، وطعنوا في آيات الذكر التي كان يتلوها عليهم ، وشهد القرآن الكريم بذلك من مثل قوله تعالى : { وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ } (سورة البقرة ، الآية : ٨٩) ، وقوله تعالى : { وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا وَقَالُوا أُسَاطِيرُ الْأُولِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمَلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا } (سورة الفرقان ، الآيتان : ٤ ، ٥) ؛ فإذا كان هذا ظنهم فكيف يطلب من هؤلاء شهادة لدعم صدق الرسول " صلى الله عليه وعلى آله وسلم " في دعوته ، إلى توحيد الله سبحانه وتعالى ، وكذلك هذا الأمر يضعف صدق الرسول ، ويجعله مفتقرا إلى شهادة خصومه ؛ ليظهر صدقه ، وهذا متناقض مع المنزلة الرفيعة التي أنزلها الله سبحانه وتعالى لرسوله الكريم " صلى الله عليه وعلى آله وسلم " عبر الآيات الكثيرة التي أوردها في اظهار هذه المنزلة من مثل ، الأمر لأهل الكتاب باتباعه ؛ لأنهم يعرفونه من كتبهم ، في قوله : { الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ } (سورة الأعراف ، الآية : ١٥٧) ، فكيف يكون التابع أعلم من المتبوع ، وقوله تعالى : { يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فِتْرَةٍ مِنَ الرَّسْلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } (سورة المائدة ، الآية : ٩) ، فالآية صريحة في أنّ الرسول " صلى الله عليه وعلى آله وسلم " هو المبين لما خفي عن أهل التوراة والإنجيل ، وغيرهم من المشركين ، وفضلا عن ذلك بين القرآن الكريم الخصوصية المتلازمة للرسول " صلى الله عليه وعلى آله وسلم " مع الذكر ؛ فقد بين الله أنّ المختص بتلاوة الذكر النازل من الله هو الرسول محمد ، فهو المبلغ ، والموصل لأحكام الذكر عبر تبليغ الآيات وتلاوتها ؛ وكذلك من يقوم بالتبليغ والتذكير هو الرسول " صلى الله عليه وعلى آله وسلم " إذ كان الأمر المباشر له (ذكر) وهي خصوصية أثبت صورتها القرآن الكريم في ذهن المتلقي حتى وصفه المشركون قبل المؤمنين بـ (يا أيها الذي نزل عليه الذكر) ؛ وعلى وفق ذلك يكون قوله تعالى (فسألوا أهل الذكر) هو احالة على الرسول محمد " صلى الله عليه وعلى آله وسلم " كونه المختص بالذكر النازل الذي يحمل أخبار الماضين من الأمم ، وكذلك سنن الحياة الجديدة ؛ لأنه يمثل دستور الحياة إلى قيام الساعة ؛ وخير ما نختم به فكرة البحث قوله تعالى : { أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا } (سورة الطلاق : الآيتان ١٠ ، ١١) ، ((فالذكر هاهنا وصف النبي " صلى الله عليه وعلى آله وسلم " كما أنّ الكلمة وصف لعيسى عليه السلام من حيث أنه بُشِّر به في الكتب المتقدمة)) (المفردات في غريب القرآن ، ١ / ٢٣٧) ،

فالذكر وصف ملازم ، ومخصوص للرسول " صلى الله عليه وعلى آله وسلم "

الخاتمة

بعد مناقشة المعطيات اللغوية ، والقرآنية وتحليلها توصل البحث إلى النتائج التالية :

- ١ . القرآن الكريم هو المصدر الأول لكل حقيقة دينية ، أو انسانية فما يثبت القرآن من صفات ، وأخبار عامة ، أو خاصة هي الحق الذي لا يناقش فمن يمدحه القرآن فهو الممدوح في السماء والأرض ، ومن ذمّه فهو المذموم فيهما .
- ٢ . لفظة (أهل) في الاستعمال تعني الخصوصية الشديدة حينما تضاف إلى الاسم (أهل الرجل) خاصته ، أو أشدّ خاصته (أهل الاسلام) خاصة الاسلام وغير ذلك .
- ٣ . (الذكر) أظهر البحث أنّ لفظة (الذكر) من أسماء القرآن الكريم الذي أنزل على رسول الله محمد " صلى الله عليه وعلى آله وسلم " وقد جاءت الآيات الكثيرة في هذا المعنى .
- ٤ . الاضافة تستعمل لغرض دلالي هو (التعريف) ، و (التخصيص) فاضافة (أهل) إلى (الذكر) في القرآن الكريم كانت لغرض دلالي هو : الإشارة إلى المختصّ بالذكر وتبينه ، والتعريف بمن هو ، أو هم (أهل الذكر) عند المتلقي لآيات الذكر الحكيم .
- ٥ . عدم دقة ما ذهب إليه المفسرون حينما فسّروا أنّ (أهل الذكر) هم أهل (التوراة والإنجيل) ، أو اليهود والنصارى ، على أساس معرفتهم بأخبار الماضين من الأمم .
- ٦ . الأخذ برأي المفسرين في هذا الوجه من التفسير للآية الكريمة يجعل القرآن في تناقض ، فمن جهة ذمّ القرآن الكريم اليهود والنصارى ، ووصفهم بالمحرّفين ، وبالكفر ، وبالذين يخفون أوامر الله عن الناس ، ويصور كثيرة تظهر سريرتهم المنحرفة اتجاه وحدانية الله ، والايامن بها ، فيكون طلب شهادتهم في صدق القرآن الكريم ، ونبوة الرسول " صلى الله عليه وعلى آله وسلم " طلبا يعطي صورة متناقضة بين ما قرره القرآن في شأنهم ، إذ يظهر الرسول وكأنه . والعياذ بالله مفتقر لشهادتهم . وهذا ما يآباه العقل ، والمنطق .
- ٧ . تبيّن تركيب (أهل الذكر) بعد دراسة المعطيات اللغوية ، والقرآنية أنّه مختص بالرسول " صلى الله عليه وعلى آله وسلم " حيث اختص " صلى الله عليه وعلى آله وسلم " بلفظ الذكر من جهة اختصاصه بتلاوته ، أو استعماله للتذكير بوحدانية الله ، والدعوة إلى عبادته وحده دون شريك .
- ٨ . استعمل القرآن الكريم تركيب (أهل الذكر) ك(مقارنة استدلالية) ؛ ليبيّن مقصده للمتلقي ، فأحال على مقصده بعد أن قدّم ما يعين المتلقي على فهم المقصد الحقيقي المراد ؛ عبر المعطيات التي قدّمها للدلالة على أنّ المقصود بذلك هو الرسول محمد " صلى الله عليه وعلى آله وسلم "
- ٩ . يعدّ على ذلك تركيب (أهل الذكر) في الدراسات التداولية (مناسب استدلالي) يسهم في اظهار المقصد الدقيق دون لبس ، أو ابهام عند المتلقي .

مصادر البحث

- اعراب القرآن ، النحاس ، اعتناء خالد العلي ، بيروت ، دار المعرفة ، ٢٠٠٨
- البحر المحيط ، لأندلسي، أبو حيان ، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وآخرون ، بيروت ، دار الكتب
البيسط في شرح الجمل ، السبتي ، ابن أبي الربيع ، تحقيق عباد الثبتي ، بيروت، دار الغرب الاسلامي
التأويلية العربية نحو نموذج لساني في فهم النصوص والخطابات ، ٢٠١٠، بيروت، ناشرون للعلوم
التبيان في تفسير القرآن ، الطوسي ، تحقيق أحمد حبيب العاملي ، بيروت ، دار احياء التراث ، ٢٠٠٩
التحرير والتتوير، ابن عاشور ، تونس ، الدار التونسية للنشر ، ١٩٨٤
التداولية عند العلماء العرب، صحراوي ، مسعود ، بيروت ، دار الطليعة ، ٢٠٠٧
التفاحة في النحو ، النحاس ، تحقيق كوركيس عواد ، بغداد ، مطبعة العاني ، ٢٠٠٨
تفسير الثعلبي ، الثعلبي ، تحقيق سيد كسروي حسن ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ٢٠٠٤
تفسير الطبري (جامع البيان) ، الطبري ، تحقيق عبد الله عبد المحسن التركي ، القاهرة ، دار هجر ، ٢٠٠١
تفسير القرآن العزيز ، ابن زنين ، تحقيق حسين عكاشة وآخرون ، القاهرة ، الفاروق الحديثة ، ٢٠٠٢
تفسير القرآن الكريم ، بن كثير ، تحقيق حكمت بشير ، بيروت ، دار ابن الجوزي ، ٢٠٠٩
تفسير الكشاف ، الزمخشري ، اعتناء خليل مأمون شيحا ، بيروت ، دار المعرفة ، ٢٠٠٩
تفسير مقاتل بن سليمان ، تحقيق عبد الله محمد ، بيروت ، مؤسسة التأريخ العربي ، ٢٠٠٢
التفكير الاسلوبي ، عابنة ، سامي حميد ، إربد ، عالم الكتاب الحديث ، ، ٢٠١٠
توجيه اللمع ، ابن الخباز ، تحقيق فايز زكي ، القاهرة ، دار السلام ، ٢٠٠٧
التوطئة، الشلوبين ، أبو علي ، تحقيق يوسف المطوع ، الكويت ، جامعة الكويت ، ١٩٨١
ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، الثعالبي ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، القاهرة ، دار المعارف
الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ، ، تحقيق عبد الله عبد المحسن التركي ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ٢٠٠٦ الجمل ، لزجاجي
، اعتناء ابن أبي شنب ، الجزائر ، مطبعة جول كربونل ، ١٩٢٦
الخصائص ، ابن جنى ، تحقيق محمد علي النجار ، القاهرة ، المكتبة العلمية ، ٢٠٠٠
خنظرية النص من بنية المعنى إلى سيميائية الدال ، مري ، حسن ، الجزائر ، منشورات الاختلاف ، ٢٠٠٧
شرح الكافية، لاستراباذي ، تحقيق يوسف حسن ، بنغازي ، جامعة قاريونس ، ١٩٩٦
شرح اللمع ، الاصفهاني ، تحقيق ابراهيم محمد ، الرياض ، وزارة التعليم العالي ، ١٩٩٠
الصاحبي ، ابن زكريا ، تحقيق أحمد صقر ، القاهرة ، عيسى البابي الحلبي
عندما نتواصل نغير ، عشير ، عبد السلام ، الدار البيضاء ، افريقيا الشرق ، ٢٠٠٦
العين مرتبا على حروف المعجم ، لفراهيدي ، تحقيق عبد الحميد الهنداوي ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ٢٠٠٣
فتح الرحمن في تفسير القرآن ، لحنبلي ، مجير الدين ، تحقيق نور الدين طالب ، قطر ، وزارة الأوقاف ، ٢٠٠٩

- فتح القدير ، الشوكاني ، اعتناء يوسف الغوش ، بيروت ، دار المعرفة ، ٢٠٠٧ | فتوح الغيب في الكشف عن قناع الرّيب ، الطيبي ، تحقيق عمر حسن ، دبي ، البحوث والدراسات ، ٢٠١٠
- القضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية ، متوكل ، أحمد ، الرباط ، دار الأمان ، ٢٠٠٣
- الكتاب ، سيوييه ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، بيروت ، دار الجيل ، ١٩٩١
- كتاب اللامات ، الزجاجي ، تحقيق مازن المبارك ، القاهرة ، دار الفكر ، ١٩٨٥
- الكشاف ، ، الزمخشري ، اعتناء خليل مأمون ، بيروت ، دار المعرفة ، ٢٠٠٩
- اللباب في علل البناء والاعراب ، العكبري ، تحقيق محمد عثمان ، القاهرة ، مكتبة الثقافة الدينية ، ٢٠٠٩
- المحرر الوجيز ، الاندلسي ، ابن عطية ، تحقيق عبد السلام عبد الشافي ، بيروت ، دار الكتب العلمية التداولية من أوستن إلى غوفمان ، بلانشيه ، فيليب ، ترجمة صابر حباشة ، إريد ، عالم الكتب الحديث ، ٢٠٢١
- المحكم والمحيط الأعظم ، ابن سيده ، تحقيق عبد الحميد الهنداوي ، بيروت ، دار الكتب ، ٢٠٠٠
- معاني الحروف ، لرماني ، تحقيق عرفان سليم الدمشقي ، بيروت ، المكتبة العصرية ، ٢٠٠٥
- معجم مقاييس اللغة ، ابن فارس ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، القاهرة ، دار الفكر ، ١٩٧٩
- المفردات في غريب القرآن ، الاصفهاني ، الراغب ، تحقيق مركز البحوث ، الرياض ، مكتبة مصطفى
- المفصل في علم العربية ، جار لله الزمخشري تحقيق فخر الدين قباوة ، عمان ، دار عمار ، ٢٠٠٣
- المقتضب ، المبرد ، تحقيق عبد الخالق عضيمة ، القاهرة ، وزارة الأوقاف ، ١٩٩٤
- المقرب ، ابن عصفور ، تحقيق احمد عبد الستار وآخرون ، بغداد ، مطبعة العاني ، ١٩٧٢
- النحو القرآني في ضوء لسانيات النص ، محمود ، هناء ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ٢٠١٢
- نظرية الصلة أو المناسبة ، سبرز ، دان وآخرون ، ترجمة هشام الخليفة ، بيروت ، دار الكتاب الجديد ، ٢٠١٦
- الهداية إلى بلوغ النهاية ، القيسي ، مكّي بن أبي طالب ، الشارقة ، جامعة الشارقة ، ٢٠٠٨